(١٤)

آدم

معنى النهاية لما قبله ومعنى البداية لما بعده من الإنسان

حديث الجمعة

٩ جمادى الآخرة ١٣٨١ هـ - ٧ نوفمبر ١٩٦١ م

تصحيح التاريخ الهجري: ٢٩ جمادى الأولى ١٣٨١ هـ

باسمه معي رحمانا رحيما.. أستعين، ومنه أستمد، وبه أفعل، وله أقوم وأحيا.

عباد الله: إن كنتم لله عباد، ولستم له إلا كذلك، سواء ربيتم الرحمة على أنفسكم أو مكنتم الشيطان من قلوبكم...

{لكم دينكم ولي دين}[١]، قالها من كان له دين، فكان عبدا لرب العالمين، مخاطبا عباد الشيطان الذين لم ينظروا فيه ولا في أنفسهم عبادا للرحمن.. فكانت عبوديتهم للشيطان دين.

إنهما عبدان وإنهما عالمان وإنهما ربان وإنهما إلهان.. في عبد واحد وفي رب واحد وفي إله واحد وفي عالم واحد.

إن الذي يرسل الشياطين تؤز الكافرين هو الذي ينزل ويرسل الروح رحمة منه للعالمين.

إن آدم ورب آدم وملائكة آدم.. إن آدم وأرباب آدم وعباد آدم.. إن آدم وأوادم لآدم وأوادم من آدم.. إن آدم وغيب آدم لما قبله، وغيب آدم لما بعده حق واحد لإله واحد لمعبود واحد لموجود واحد. إن آدم وما فوق آدم وما تحت آدم إنسان واحد لحق واحد وإله واحد وموجود واحد ومعبود واحد. إن آدم أمة وسطا خلت من قبلها وقبله أمم وأوادم، ويعقبه ويعقبها أمم وأوادم.. إنما هم آدم واحد، وأمة واحدة، وبشرية واحدة، وإنسانية واحدة، وحضرة حقية واحدة في معاني عبودية واحدة لربوبية واحدة في ألوهية واحدة بظاهر واحد لغيب واحد.

إن آدم وخصم آدم والمحب لآدم.. إن آدم والساجد لآدم والممتنع عن السجود لآدم إنسان واحد وعبد واحد لحق واحد. هل فعل الشيطان إلا ما أراد الرحمن؟ وهل ضعف الرحمن أمام قدرة للشيطان؟ إن آدم معنى قبل أن يكون مبنى. وإن آدم مبنى قبل أن يكون معنى. فهو في معناه قبل مبناه معنى الإله، وهو في مبناه قبل معناه مبنى الوجود. فإذا تخلى المبنى عن ذاته من مادته لمعناه من رحمته كان الرحمن. وإذا تجلى معناه من غيبه كإله لذاته من مادته في مبناه ليكونها على ما لنفسه ارتضاه كان الشيطان أو كان الوجود. فالرحمن والشيطان وجهان لله، وأمران في الله، وربان في الله، وعبدان لله، ويدان لله.

إن هذه التفرقة، وهذا التعدد، وهذا التعديد، لا وجود له إلا في عالمنا البدئي هذا، وعوالمه من العوالم والمراحل الأولى بعد قيامنا من هذا العالم لمن كسب منه شرارة الحياة المقدسة، إلى الملأ الأعلى عنه صدر وهذا العالم منه وإليه ينتهي بمصير، أما ملأ الحق حيث لا ملأ وحيث الحق فإنه لا يعرف هذه التفرقة. لا يعرف وصف العبودية لكائناته، ولا يعرف وصف الربوبية على موجوداته، ولا يعرف الألوهية غيبا عن وجوده، ولا يعرف موجودا غائبا عن موجوده. كانت لهم جنات الفردوس نزلا لا يبغون عنها حولا.

إن هذه البشرية وهذه الأرض، من عوالم الإنسان، وعوالم الروح، وعوالم الشيئية، إنما هي إنسانية بدئية، وقاعدة لمعراج في الوجود يصعد به الإنسان من معاني عدمه إلى معاني وجوده، يتكاثر بها الإنسان في معاني وجوده بتكاثره في معاني بدئه نموا واتساعا يدركه عن قديم وجوده في حاضر موجوده وقابل تواجده.. في دائرة مفرغة لا يعرف لدائرتها نقطة بدء ولا نقطة انتهاء، كما لا يعرف لها بدء كنقطة لدائرة أو كدائرة لنقطة. البدء بشرى النهاية، والنهاية بشرى البدء.. في دائرة للحياة العطاء فيها غير مجذوذ، والمعرفة فيها لطالبها يطلب معرفة الله في كونه من الله، وفي نهايته إلى الله، وفي بدايته من الله. يبدأ دائما من وجوده، ويعلم دائما من شهوده، ويصعد دائما بتواجده، ويؤمن دوما ببعثه، ويبعث دواما في قابله بما كان في ماضيه بفعل حاضره، ويؤمن في حاضره بأطراف وجوده من قديمه لحاضر ومستقبله لقائم، وأنه ليس له من الله إلا ما يعمل، ولا يبعث في الله إلا بما عمل، ولا يتواجد في موجوده إلا بما كان من قديم إرادته.

على هذه الأرض تظهر بدايات الحقائق لآحاد الحقيقة في الحق اللانهائي، يظهر أوادم الحق في أوادم الخلق. يظهر معنى الحق بالخلق. يظهر قيام الخلق بالحق. تظهر وحدانية الحق والخلق. تظهر وحدانية الخلق والحق. يظهر الحق في صورة الخلق ويظهر الخلق في صورة الحق. يتلاقى الرحمن حقا مدثرا بخلقيته والشيطان خلقا متجليا بألوهيته وجها لوجه في حضرة من حضرات لله.

إن التوحد في ظل التوحيد بعمل في حاضر، يكون مع الماضي، كما يكون مع المستقبل، وكما يكون مع الحاضر. فالتوحد مع الماضي بعث في حاضر، والتوحد مع المستقبل نبأ وأمل في قابل. والتوحد مع الحاضر استقامة وطريق تجمع أطراف الماضي والمستقبل.

إن آدم دائما هو الحاضر والقيام بوصف الخلق وبوصف العبد، ما قبله وما بعده هو الحق في جلبابه بوصفه. فما قبل آدم الخلق إنما هو آدم الحق، وما بعد آدم الخلق إنما هو آدم الحق. فقضية الحقيقة إنما هي في التمييز بين آدمية خلقية وآدمية حقية. وقضية الدين إنما هي في التجمع في آدمية حقية، والتّخلي والمباعدة عن آدمية خلقية. أما المتجمع المتخلي فليفرض نفسه من الآدمية الخلقية بما يفعل، وليؤمن نفسه من الآدمية الحقية بما يرجو حتى تتكشف له نفسه بما قدمت وأخرت عند كشف الغطاء المادي عنه ليراه من غيبه.

إن الذي خاطب الإنسانية على لسان رسلها والذي بَعث بالروح من أمره من عوالمها ومن أرسل ومن بعث، ما كان إلا الإنسان يخاطب نفسه من الإنسان في أبنائه، ويبعث بنفسه من إنسانه من الرحمن.. يفعل بإرادته من معناه في حدود ما أراد المرسل إليهم ليكونوا في معناه. فهل استيقظت البشرية من سباتها في منامها من غفوتها، وهي على هذه الأرض تلهو في مهد طفولتها، وتتأرجح في الوجود في مركب فسحتها، وبين مفرداتها من أهل الرشاد سفن الخلاص والنجاة، وموارد العلم والحياة؟ هل استيقظت هذه البشرية من غفلتها وقد جاءها الحق من نفسها رسولا من حقيقتها بالحق قائما على كل نفس فيها، ومن وراء كل نفس محيط، وأقرب إلى كل نفس من حبل الوريد، ففارقت طفولتها وأدركتها وجوها له أرسل وجها منه لوجوهه بها؟ بالحق أنزل فعرف طريق الحق، فبالحق نزل رحمة منه وبقي بين إنزال للحق له ونزول للحق معه بين الحق من ملئها الأعلى إلى الحق من ملئها الأدنى، ومن الأدنى إلى الأعلى طريقا مستقيما ودينا للقيمة الشهداء على الناس بنفوسهم الرحبة، وعقولهم المشرقة، وقلوبهم المنطلقة، وحقائقهم المقاربة الصاعدة، تدخلهم النفوس المطمئنة من تحت سموات أقدامهم إيمانا بهم من الحق، وتصلهم أقباس نور الله من إنسانية الملأ الأعلى من سموات فوقيتهم.. هبوطا لرحمات الله بهم فيمشون على الأرض أوادم الناس ووجوه رب الناس رحمة للعالمين يؤتيهم رحمة من لدنه، أمناءه يحملون أماناته للناس، ويُعلِّمهم علما من لدنه، أميين عما يعلم الناس، عالمين بما يجهل الناس، مالكين لما غاب على الناس، كرماء بما يفتقر إليه الناس، فقراء الله وأغنياء الوجود بالجود وبالحياة.. يملكون المال وعباد المال بملكيتهم لعوالم الوجود، لهم خلق، مستخلفين من الموجد على ما لهم أوجد.

هذا هو الدين جاء به الإسلام بآدم، دين فطرة بدءا وبعثا، بدءا في مجهول لا يعلم وبعثا في معلوم لا يجهل، ودين كتاب بأمنائه، ورسالاتهم كلمات الله وبيوت ذكره.

أما عبده والمثل الأعلى منه مبعوثا للنبيين جماع الناس ومعراج كمال، وللحكماء الراشدين موهوب علم وتمام حال، وللطالبين المفتقرين طريق استقامة وحق مآل، رسولا للأعلى من حقائق العباد من حضرة الهدى والرشاد لرب العالمين، فقد جعله عنوانا للعلم، وأسوة للجهاد، وهاشما للعناد، وسيفا مسلولا لحماية عوالم طلبه من عوالم مخاصمته، إتماما لنعمته بمكارم الأخلاق.

هذا هو الإسلام مع محمد ولمحمد كمل رشاده، وبه قام استعداده، وتمت حكمته، وقامت كلمته، وبعث آدمه، ونشر كتابه، وهيئ معراجه، وفتح للناس بابه، وعبِّدت للخلق طريقه بقيام عبد الله وابن عبد الله المحمد في أخلاقه، المحمود في فعله، الحامد في قدوته، الأحمد في مجاهدته.. عبد حمده، ولسان رشاده، ويد حكمته، وقدم قدرته، وعين إرادته، ووجه جماله، وظهور حقه.. لا يغيب عن الأرض، حي في قبره، وفي مقابر النيام من خلقه، كامن في النفوس الميتة، قابع في النفوس النائمة، حي في العقول القائمة، حي في الأرواح المنطلقة، قائم في الناس، حي في البشرية، برازخ موتاهم بهم، وأصول بعثهم بأرواحهم، هو الحي في منابره من مقابرهم، وفي قبره من منابرهم. إنه النور المنبعث من قلوبهم يوم تحيا. إنه الطهارة والزكاوة لنفوسهم يوم تزكو. إنه العلم والمعرفة في عقولهم يوم تعي. إنه الحرية والحياة لأرواحهم يوم تنطلق، ولرقابهم يوم تعتق. إنه الحق لهم يوم يعرفهم الحق ويعرفونه. إنه العبد فيهم وبينهم يوم يلاقونه. إنه الحياة لا يعرفونه إلا يوم يعرفونها، ولا يعرفونها إلا يوم يعرفونه.

منه زيت مصابيح القلوب في مشكاة الصدور، وهو قبضة الإطلاق لنور السموات والأرض إنسانا. إنه عضد الله حقيقة. إنه عبد الله شرفا. إنه الإنسان.. إنه الإنسان عبدا، وإنه الإنسان سيدا وربا، وإنه الإنسان إلها وقدسا، وإنه الإنسان شهادة وغيبا. وإنه الإنسان محدثا وذكرا، من أمشاج يبتلى فيجعل سميعا بصيرا في أزل وأبد.

إنه الإنسان لنا ونحن البشرية لإنسانه. نحن بأبداننا، وبنفوسنا، وبعقولنا، وبأرواحنا، وبمعاينا، وبمعلومنا، وبمجهولنا، عناوين وجوده، وطلعة موجوده، ووجوه مشهوده، ووجوه مشاهدته، ما صدقنا الله في صدقنا معه. إننا له وهو لنا كل شيء. إن لم نعرفه لا نعرف شيئا، وإن لم يتواجدنا بحقه لا يظهر شيئا.

إنه الرسول الإنسان، من ربه الإنسان، من إلهه الإنسان، إلى هذه البشرية بمعناها من الإنسان. فهو رسولها لمبدعها ورسول مبدعها لها. إنه الوسط الذي عرف ما قبله من الإنسان فكانه، وعرف

ما بعده من الإنسان فكانه. إنه الوسط الذي عرف ما فوقه فعبَّد نفسه له، وعرف ما دونه فنزل بالحق إليه. إنه الوسط الذي اجتمع فيه ما قبله بما بعده. إنه الوسط الذي تحيا فيه وتحيا منه وتنتهي إليه حيوات الكائنات في نشأتها، وفي نهايتها، وفي علمها، وفي جهلها من علمها في طلب المعلوم لها.. عبادا لله، وحقائق لله، وخلقا لله، وعوالم لله، وكائنات لله.

إنه الإنسان وكفى. إنه عبد الرحمن ووجهه وكفي. إنه هازم الشيطان وكفى. إنه مجال الإحسان وكفى. إنه نور الله وكفى.. فماذا عرفنا من أمر رسول الله لنعرف من أمر أنفسنا؟ هل عبَّدنا أنفسنا به لرحمة الله ولنور الله ولحق الله تقوم بنا رحمته، وتشهدنا وحدانيته، وتحيينا قيوميته؟

لقد أصبحنا بعيدا وبعيدا جدا عن رسول الله، وعما جاءنا به رسول الله. وزَاحَمنا عليه الناس معاني لا تجحد، ومحامد لا ترفض، فكسبه الناس وفقدناه. عرفه الغرب وجحدناه، وفقده الشرق ما بكاه. أخذه دينا وقامه دنيا لم يرعها دين ولم يقدها يقين، فتخلفنا عن ركب الحضارة في روحانياتها، ثم تخلفنا عن ركب الحضارة في مادياتها. أما الذين كسبوا الحضارة بمادياتها منا ابتلاء من الله واختبارا منه، فقد انتهت خبرتهم واختباراتهم إلى كسب رسول الله بما وصلت إليه معارفهم وعلومهم، فطابت في الله فطرتهم قسطا ما، فتخلقوا بما جاء به الرسول من خلق الله فتواجدهم. لا يتواجدنا.. لقد فقدناه خلقا وذاتا ما وعيناه. وروحا ما قمناه، وما نشرناه.

إن رحمة الله برسول الله ما فارقت الأرض وما باعدت ثراه، وهو الذي يقول (أنا حي في قبري)[٢]. أنا حي بينكم. أنا حي بين جوانحكم. أنا حي في قلوبكم المنقبرة. أنا حي في قلوب ذواتكم قبرا لي. أنا نائم في غفلتكم. لو استيقظتم ما وجدتموكم غيري، وما كنت لكم غيركم. ها أنا رسول أنفسكم، فهلا استيقظت أنفسكم؟

هذه هي رسالة الإسلام بمحمد ورسالة الكتاب بمحمد، ورسالة القديم للجديد بمحمد، ورسالة الجديد إلى القديم بمحمد.. هذه هي رسالة الحق إلى الخلق بمحمد، ورسالة الخلق إلى الحق بمحمد. فهلا ركبنا سفينته خلقا، وهلا استقبلنا نوره حقا، وهلا قمناه وحدانية، وهلا شهدناه إيمانا، وهلا عرفنا فيه ربه، فاستنجزنا به من الله وعده، فقمناه وشهدناه على ما شهد، وشهدناه في شهادة أنفسنا على ما شهد نفسه؟ جاءنا بلا إله إلا الله، وجاءنا ربه بمحمد رسول الله. {وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا}[٣]. {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله...}[٤]، {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}[٥]. وها هو اليوم يجدد في الأرض مبناه، ويجدد من السماء معناه، فتنشق السماء عنه أرواحا مرشدة، كما

تنشق الأرض عنه نفوسا رشيدة، ويتلاقى بشقيه من السماء والأرض حقا واحدا لله، وعبدا ووجها لله، هو من ورائكم محيط، وبكم قائم وأقرب إليكم من أنفسكم.

اللهم إنا سمعنا عبدك مناديا باسمك فلبيناه، وقاربناه فآمناه، وقامنا فوحدناك، وعرفنا أنه لا إله إلا أنت، وأدركنا أن محمدا عبدك ورسولك وحقك. اللهم فاغفر لنا وللذين تابوا وأصلحوا واتبعوا طريقك. اللهم كن لنا وكن لهم في الصغير والكبير من شأننا وشأنهم. اللهم خذ بنواصينا ونواصيهم إلى الخير على ما فعلت دائما، وقنا وإياهم مزالق الزلل على ما أقلت دائما. اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك في أنفسنا، وفي دنيانا، وفي معنانا وفي أخرانا. اللهم أدخلنا في حصن لا إله إلا الله، وفي علمك بنفسك أنه لا إله إلا أنت، وفي تسبيحك لنفسك أنه لا إله إلا أنت. اللهم أقمنا دراكين لوحدانيتك، وأشهدنا وحدانيتك بوحدانيتك، وأسعدنا قائمين بوحدانيتك، وأقمنا في الناس بك ومنك بوحدانيتك.

اللهم بمحمد فارحمنا. اللهم امنحنا وسيلتنا به إليك نتوسل. اللهم اجعله في الدنيا والآخرة وسيلتنا على ما شرعت، واجعله شفيعنا على ما رحمت، وأقمنا في معناه على ما سبق أن وعدت وبشرت عبادا لك في دنيانا وفي أخرانا. اللهم إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لنا وتولانا وارحمنا أنت أرحم الراحمين.

أضواء على الطريق

(إن دوري هو دور رسول يبلغ رسالة لإظهار الحقائق الروحية التي فقدت منذ قرون عديدة. ولقد جاهدت لأحمل ما أعطي لي على أساس الجهاز الذي عندي، والقدرة التي اكتسبتها، وحرصت أن لا يتسرب من فعل الجهاز ما يَشده أمانة رسالتي. فإذا كانت التعاليم القليلة التي أبينها أو ألهمها تساعد نفسا على أن تجد السلام في حياة عاصفة، إذ تجد مأوى في الصدق بعد أن عانت أنواء الشك، أو كان هناك إنسان يمكنه بتقديس هذه الحقائق الروحية البسيطة أن يجد السعادة والإلهام في الخدمة فإني إذن لسعيد).

عن الروح المرشد السيد (سلفر برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الكافرون - ٦

٢ حديث شريف يتردد في أدبيات التصوف، يتوافق مع الحديث الشريف: "الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ". أخرجه أبو يعلي والبزار.

٣ سورة الإسراء - ٨١

٤ سورة الحديد - ٢٨

٥ سورة محمد - ٢